التسلسل الزمني لتغير اساليب فخاريات عصور قبل التاريخ في أعالي الفرات في ضوء نتائج التنقيبات الاثرية

أ.م.د.كاظم جبر سلمان
جامعة بابل / كلية الاداب

مقدمة

تشير أعمال الحفر والتنقيب في المواقع الاثرية في اعالي الفرات (شمال سوريا وجنوب شرق الاناضول) الى اكتشاف العديد من بقايا آثار مستوطني المنطقة ، واكدت تلك الاعمال ان قسما منها يعود الى البدايات الاولى لتواجد الانسان ، وقد شكلت المادة الفخارية الجزء الاكبر والاهم بين تلك الآثار، ولعل سبب ذلك يعود الى ان صناعتها كانت ضرورة من ضروريات تلبيت حاجة أولئك المستوطنين ، وكسبت اهمية اكبر عندما نَحَت رويدا رويدا باتجاه الجانب الفني الملازم بلا شك للتطور الحاصل في حياة اولئك المستوطنين ، اذ نفذت عليها زخارف ومشاهد فنية مثلت انعكاساً للمستوى الفكري والحضاري الذي وصلت اليه مجتمعات ذلك العصر ، وهذا بطبيعة الحال اعان المختصين في حقل الدراسات العلمية ولاسيما الدراسات الآثارية للوقوف على نتاجات ذلك الانسان خلال مرحلة عصور قبل التاريخ ومن ثم التعرف على الادوار التطورية التي عاشها خلال تلك المرحلة .

امتازت هذه المنطقة بخصائص عديدة جعلت منها ان تكون واحدة من اقدم المناطق استقطابا للسكان ، مما حدا بالمختصين بعلم الاثار الى تتبع آثار الانسان فيها لغرض تكوين فكرة عن البدايات الاولى لتواجده هناك ، وكانت النتائج غاية في الاهمية تمثلت باكتشاف العديد من المواقع الاثرية تضمنت طبقات اثرية دلت على وجود تعاقب سكني يعود الى عصور قبل التاريخ وعلى طول نهر الفرات ، وهي بدورها قد القت الضوء على انتشار حضارات ذلك الانسان في المناطق العليا من نهر الفرات ، وفتحت النقاش حول الاسباب والوسائل التي ساعدت على ذلك[1]، ومع ذلك فان هذه التنقيبات لم تسهم في معرفتنا بالنشاطات المرتبطة بالمرحلة المبكرة من عصور قبل التاريخ ، بل ان معظمها كانت مقتصرة على المرحلة المتأخرة.

لقد افصحت نتائج المسح والتحري الميداني وكذلك اعمال الحفر والتنقيب التي طالت مناطق اثرية واسعة من اعالي الفرات عن بيان حقيقة مفادها ان حضارات عصور قبل التاريخ في هذه المنطقة لم تكن واسعة الانتشار مقارنة بالمناطق الاخرى ومنها جنوب سوريا بل انحصرت في

مناطق محدودة تركزت في شمال سوريا فقط [٢]، وكانت اهم المواقع الاثرية التي تركزت فيها معالم هذه الحضارات هي تل عقاب[٣]، وتلول اخرى انتشرت في المنطقة وبالقرب من مدينة حماه ومنها تل حمام التركمان[٤] الواقع على نهر البليخ ، وفي حوض نهر الخابور[٥] وتل زيدان[٦]، ولعل من اهم العوامل التي ساعدت على وجود المستوطنات في هذه المنطقة خلال تلك العصور هو وجود نهر الفرات الذي عد احد العناصر الاساسية لنمو وتطور المجتمعات آنذاك .

ان ابتكار الانسان للفخار لم يكن مرتبط بمرحلة أو زمن معين وانما تارجح وتدرج كثيرا قبل ان ياخذ شكله ومكانه في حياة ذلك الانسان ، وكانت التجربة تشكل عاملا حاسما في ذلك ، وقد عزز من ذلك انها مدفوعه بالارادة والقصد في تحقيق الابداع في هذا الجانب[٧] ، واستخدم في الفعاليات اليومية وتزايدت اعداده واشكالة بتنوع تلك الفعاليات[٨]، اذ كانت بداياته الأولى مقتصرة على مايتعلق منها بنشاطاته الاقتصادية وهي تخزين الغلات الزراعية ، وتطورت الفكرة لتشمل جوانب أخرى من حياة ذلك الانسان وكان منها مايخص الطقوس والاحتفالات الدينية واخرى تخص دفن الموتى من الاطفال وحتى البالغين، فضلاً عن صناعات اخرى منها الدمى وتماثيل الالهة والحيوانات،وتلك الصناعات الفخارية اغلبها صنعت باليد ولاسيما في عصور قبل التاريخ[٩].

مع امتداد الاستيطان في منطقة البحر الاسود خلال المراحل المبكرة من عصور قبل التاريخ ، فان الاراضي المحصورة بين جبال طوروس من جهه والبحر الابيض المتوسط من جهة اخرى توفر فرصة للبحث في ظهور اساليب مختلفة من المخلفات المادية التي عبرت عن الاساليب الحضارية التي عاش في كنفها الانسان خلال تلك العصور المبكرة من تاريخ المنطقة ، وبدلا من الاعتماد على وجهات نظر اقليمية ومقارنة بما هو شائع في عصور ما قبل التاريخ في الشرق الادنى القديم ، فان هذا النهج يتيح لنا التعرف بشكل دقيق على السياق الاجتماعي للتوزيع الحضاري ، وتقييم كيفية مشاركة المجتمعات المحلية في التحولات الكبرى التي حدثت آنذاك .

تشير الدلائل الاثرية وفي مقدمتها الاواني الفخارية ان اراضي الاستيطان والتجمعات السكانية في المنطقة التي حددناها آنفا بقيت تتمتع بمسحة محلية قوية ، خلال تلك المرحلة ولاسيما مع بداية الالفية السادسة قبل الميلاد على وجه التحديد حيث انتشرت مخلفات حضارة حلف تبعتها حضارات اخرى حاملة معها عناصرها الحضارية المميزه التي جلبتها معها من مواطنها الاصلية وفي مقدمتها الصناعات الفخارية والطرز العمارية والفنية عبر مستوطنات بلاد الرافدين الشمالية القديمة ، ومع ذلك ، فان المواقع الاثرية في المنطقة التي نحن بصدد دراستها قد تاثرت بالتحولات الكبيرة التي حدثت او تحدث في بلاد الرافدين من جنوبه الى شماله آنذاك[١٠].

اكدت الدراسات الاثرية على الاهمية الحيوية التي تمتعت بها هذه المنطقة التي كان (اقليم هضبة حلب) يمثل جزءا مهما منها منذ اقدم العصور وقد عزز من هذه الاهمية موقعها في منتصف الطريق بين نهر الفرات وساحل البحر المتوسط من جهه ، وتوسطها الطريق الواصل بين كركميش وحماه من جهة اخرى ، وهذا بطبيعة الحال يشكل مفترق طبيعي للتجارة في كافة الاتجاهات ، ومن خلال هذه المنطقة كانت تمر التجارة العالمية آنذاك والتي كانت تجهز المناطق الجنوبية والغربية بالزجاج البركاني الاسود المستورد من وسط الاناضول ، فضلا عن كونه معبرا تمر من خلاله فخاريات العصر الحجري الحديث المتمثلة بفخاريات العمق (A،B) ، وتؤرخ فخاريات هذه المرحلة من العمق ولاسيما(A) الى مطلع الالف السادس قبل الميلاد وتمتاز بصناعتها اليدوية المصقولة وهي ذات لون قاتم مصبوغة بصبغة بين الرمادية والبنية وفي بعض الاحيان تكون ذات صبغة تميل الى الاحمر والاصفر والبني اما الاشكال المميزه لهذه المرحلة فاغلبها عبارة عن جرار وكؤوس[١١] (لوح رقم ١) ، اما المرحلة (B) فانها تؤرخ الى منتصف الالف السادس قبل الميلاد بحوالي ٥٦٠٠ ق.م وتمتاز فخاريات هذه المرحلة باختفاء اللون القاتم الذي كان سائدا في المرحلة السابقة واصبحت الفخاريات ذات لون واحد بني احمر على خلفية برتقالية[١٢] ، (لوح رقم ٢) وقد ساعد ذلك على ظهور مستوطنات سكنية في المنطقة منذ عصور قديمة دلت عليها المواقع الاثرية الممتده من مرسين الى بيبلوس ، ويلاحظ وجود تنوع واسع في المخلفات الاثرية منذ البداية ناتج عن وجود تبادل تجاري نشيط تمثل بجلب المواد والسلع المهمه كحجر الصوان والزجاج البركاني الاسود من بلاد الاناضول من اجل استخدامه في صناعة الادوات والاسلحة الحجرية والحلي والتعويذات ، فضلا عن المواد الاخرى كاصداف البحر وجبس الفرات والمعادن ومنها الذهب والفضة والنحاس ومصدرها الرئيس مرتفعات شمال الاناضول .

شهدت المدة من ١١ – ٢٥ تشرين الاول عام ١٩٧٧ اجراء مسح اثري قام به معهد الاثار في جامعة لندن في الاراضي المحيطة بتل الرفيعات[١٣] ، اذ تم دراسة ٣٤ موقعا تم اختيارها من قبل اعضاء الفريق ، وكانت ٢٤ منها تلول لاستيطان بشري قديم يعود الى مراحل مبكرة من عصور قبل التاريخ ، اما البقية فانها حصلت على هذه التسمية بسبب موقعها على بعض الارتفاعات الصخرية ، الهدف الرئيسي من هذا المسح هو تحديد انماط الاستيطان في المنطقة لكل مرحلة من مراحلها القديمة[١٤].

اشارة نتائج عمل بعثة تل الرفيعات آنفت الذكر الى قلة الكسر الفخارية التي تم جمعها ومع قلتها الا انها كانت على قدر كبير من الاهمية ، وقد تميزت غالبيها ولاسيما فخاريات عصري الحجري الحديث والعصر المعدني بكونها مصنوعة يدويا ومشوية شيا شديدا ومخلوطة بمزيج من

الحبيبات السوداء والبيضاء ، اما الاواني المطعمة بالقش والتبن فكانت نادرة ، وقد اتسمت جميعها من حيث الصناعه بالكفاءة الفنية على وجه العموم وان بعضها وبالتحديد الاواني الاحادية اللون المصقولة وجدت بنوعية ممتازة[١٥].

وكشفت اعمال المسح والتحري الميداني تلك عن وجود مجاميع من الفخاريات المتنوعة والمتفاوته في اساليب صناعتها وطرزها الفنية ، فالمجاميع التي تم تحديدها على انها تعود الى فخاريات العصر الحجري الحديث المبكر في شمال سوريا هي الاواني احادية اللون اطلق عليها الاواني المصقولة ذات الوجه الاسود ، فضلا عن الاواني المصقولة والمصبوغة بالاحمر وتؤرخ الى نهاية الالف السابع قبل الميلاد وبداية الالف السادس قبل الميلاد وهي اقدم دليل على صناعة الفخار في سوريا[١٦] ، ومنها اواني الطبخ الخشنة غير المصقولة وقد تركزت في منطقة العمق A ورأس الشمرة [١٧]، وصاحب هذه المرحلة تطورا كبيرا في حياة الانسان ولاسيما في الجانب المجتمعي ، اذ اصبحت الزراعه وتدجين الحيوان تشكل الاساس في اقتصاد ذلك الانسان بعد ان اهتدى الى الاستقرار وسكن البيوت التي طليت جدرانها وارضياتها بالجص الابيض[١٨].

ومن بين تلك المجاميع مجموعه عرفت بالاواني المصقولة النمطية او الاواني الملونه المبكرة وهي اواني فخارية مصقولة بصورة جيدة ومصبوغه باللون الاحمر الفاتح[١٩].

بعدها تظهر فخاريات حلف بتاثيراتها القادمة من شمال بلاد الرافدين ، وشكلت نقطة تحول في التطور الحاصل في شمال سوريا وجنوب شرق الاناضول ، اذ كانت شاهد على دخول اقوام جدد استخدمو فخارا لم يكن له مثيل في المنطقة ، وعلى الرغم من قلة معلوماتنا عن الاسلوب الذي انتهجوه في تغلغلهم في المنطقة الا ان تلك المعلومات اكدت انهم ادخلوا معهم فخارا ذو جوده ونوعية عاليتين فنيا ، وميزت آثاريا على انها (فخاريات حلف النموذجية المُستوردة) ، وكانت متواجدة جنبا الى جنب مع فخاريات محلية (حلف المحلي) وقد تمثلت هذه المرحلة في طبقات العمق[٢٠] C وراس الشمره الطبقة IV ، اما تأريخها فهو نهاية الالف السادس قبل الميلاد وقد امتاز بجمالية وتعدد الوانه وزخرفته ، اما مرحلة العمقD فانها تمثل مرحلة اختلطت فيها التقاليد المحلية بتصاميم حلف ، وهي الاواني المصبوغه بالاحمر ذات الحافة المقوسة والقاعده المدوره[١٣] ، وبعد العمق D ياتي مايسمى بفخاريات العبيد (عبيد سوريا) ، وهي مرحلة غامضة ايضا حيث يوجد على الاقل مرحلتين تمثلها العمق E ويتبعها اواني تل الشيخ (راس الشمره) .

ومن المواقع الاثرية المهمه التي قدمت للبحث العلمي الاثري خزين من المعلومات عن فخاريات هذه المرحلة هو تل كردو ، اذ اكدت ذلك اعمال الحفر والتنقيب التي اجريت في التل عام ١٩٣٨ ، وقد درست نتائج تلك التنقيبات بدقة من قبل روبرت وليندا بريدوود في عام(١٩٦٠)

وصنفوا الفخاريات المكتشفة ووضعوها ضمن ثلاث مراحل منفصلة ، ووضعوا من خلالها اغلب تجمعات الفخار من التلة ضمن تسلسلات زمنية محلية نسبية ، ومقارنة مع تسلسل فخاريات وادي العمق فقد تم تحديدها على انها كانت معاصرة لفخاريات العمق (c و d و e) ، وكانت الطبقات المبكرة في كردوا محدده بمرحلة العمق c وهي في اغلبها تحمل اسلوب محلي ، وحددت الدراسة مجموعه من الفخاريات المكتشفه في الموقع كانت تحمل تشابها مع فخاريات حلف ، ولاسيما في المواقع الاثرية المنتشرة في الناحية الشرقية من كردو[٢١] .

شهد الموقع في عام ٢٠٠١تنقيبات اثرية علمية غاية في الدقه ولاسيما في الطبقات العليا من طبقات مرحلة العمق c ، اذ حدد زمنها بناء على الدليل الاثري المتوفر على انها تعود الى بداية الالف السادس قبل الميلاد وبالتحديد عند عام ٥٨٠٠ ق.م ، وقد كشفت تلك التنقيبات عن البعض من مظاهر الحياة آنذاك منها مايتعلق باساليب الدفن وقد دل على ذلك اكتشاف بعض المدافن وهذا الاكتشاف في نظرهم يوفر معلومات مفيدة في مقارنتها مع المدافن اللاحقة من مرحلة العمقe [٢٢].

اما مرحلة العمق d من الموقع فقد وصفتها الدراسة بانها مرحلة وقتية او مرحلة انتقالية بين حلف والعبيد ، اذ عثر على كسر لنسخ محلية من فخار حلف تستمر جنبا الى جنب مع ظهور اشكال واساليب فخار العبيد ، ان هذه المرحلة هي اقل المراحل وضوحا في موقع كردو لعدم اكتشاف مخططات عمارية سليمة من شأنها ان تزيل الضبابية وتكشف عن المعلومات الخاصة بهذه المرحلة المهمه[٢٣] ، ولكن هذه المرحلة الانتقالية تظهر اكثر وضوحا في موقع عقاب وهذا ما اثبتته نتائج التنقيب في الموقع والمنطقة نفسها ، ويبدوا ذلك واضحا من خلال الفخار المكتشف في الطبقات الانتقالية في المجس رقم ١ اذ كان الاغلب والاعم منه من فخار حلف رغم ان اشكال الاواني والطرز الفنية كانت مختلفة نوعا ما عن تلك الموجودة في الطبقات المبكرة من الموقع ، وتظهر الدراسة اختفاء نوعين من الجرار بصورة تامة فضلا عن بعض اشكال الطاسات المفتوحة ، وقد بلغت نسبة الطاسات ذات القاعدة القرصية ما نسبته ١٥% من مجمل الاواني الفخارية الملونة المكتشفة في الطبقات الانتقالية ، وقد صاحب ذلك اختفاء الاواني والصحون الصغيره التي كانت من مميزات مرحلة حلف في عقاب[٢٤] .

تعد المرحلة الانتقالية بين حلف والعبيد اهم المراحل التي اظهرتها نتائج التنقيبات الاثرية في تل عقاب اذ تشير نتائج تلك التنقيبات في الطبقات الاثرية من هذه المرحلة الى ظهور الجرار ذات الحافات المقوسة التي تميزت بها هذه المرحلة الانتقالية وبالتحديد في شمال وغرب سوريا ، واكدت تلك التنقيبات ان اول ظهور لتلك الجرار كانت في هذا التل [٢٥].

ومن النتائج المهمه التي اسفرت عنها نتائج التنقيبات من هذه المرحلة هي استخدام بعض التصاميم الخاصة بفخاريات عصر العبيد على ألاواني من فخاريات حضارة حلف ، وتشير نتائج تلك التنقيبات الى ان ذلك التلاقح قد تم بصورة بطيئة في التل ، بدليل ان الجزء الاكبر من الفخار الملون من تلك الطبقات الانتقالية في التل كانت تطغي عليها الطرز الفنية لفخار حلف اكثر من طرز فخار العبيد[٢٦].

وفي تل زيدان اشارت التنقيبات الاثرية وبالتحديد في المجس رقم١ الى اكتشاف عدة ارضيات وجدران ومخلفات اثرية يعود تاريخها الى المرحلة الانتقالية بين حلف والعبيد خلال المرحلة المبكرة من حضارة العبيد في المنطقة ، وتكتسب هذه المرحلة الانتقالية اهمية كبيرة في الاوساط العلمية الاثارية كونها تعد المدخل لمعرفة ما حدث في المنطقة عندما انتشرت حضارة العبيد من موطنها الاصلي من جنوب بلاد الرافدين لتحل محل حضارة حلف المحلية الموجودة في شمال سوريا، وهذا بدوره يدفعنا الى استنتاج غاية في الاهمية هو ان هذه المرحلة الانتقالية قد تمت بصورة سلمية دون وقوع احداث جسيمة بدليل عدم وجود آثار دمار وحرق في الطبقات العائدة لهذه المرحلة الانتقالية بل ان التبادل الحضاري قد تم بصورة سلمية بين الحضارتين ، والاهم في الموضوع ان الاطر الفنية المنفذه على فخاريات العبيد ضلت تحتفظ بالتصاميم الملونة من مرحلة حلف المبكرة ، وقد مكننا ذلك من تحديد تاريخ الطبقات العليا من حضارة حلف بالكاربون المشع في حوالي ٥٥٠٠-٥٤٠٠ ق. م[٢٧].

ومن خلال تتبع البيانات الاثرية لنتائج التنقيبات الاثرية في تل كردو فان اساليب الفخار الملون ذو التصاميم والاشكال الشبيهة بـــفخار حلف تظهر باعداد قليلة بين فخاريات العمق c ، اذ تتميز فخاريات هذه المرحلة باساليبها المحلية ذات السطوه الكبيرة على جميع المخلفات الاثرية من هذه المرحلة ، اذ لم تكن تلك المؤثرات مقتصره على الفخار بل شملت بقيت المخلفات الاخرى وبضمنها القطع الاثرية الصغيرة والبنى العمارية[٢٨] .

وخلال مرحلة العمق e اخذت الطرز الفنية لعصر حلف تندمج مع الطرز المحلية وقد استمر هذا الاندماج مدة طويلة استمرت الف عام تقريبا اخذت حضارة العبيد خلالها تظهر بشكل كبير ، اذ تشير نتائج الكاربون (١٤) المشع من تل كردو الى ان احدث الطبقات التي تم حفرها من مرحلة العمق e تعود الى بداية الالفية الخامسة قبل الميلاد اي حوالي ٤٨٠٠ ق. م[٢٩] ، ولكن يبدو ان استيطان العبيدين في تلك كردو قد تم في وقت اقدم من ذلك ، وينبغي ملاحظة ان التواريخ من كردو ما تزال لاتقترب من مثيلاتها ولاسيما في الطبقات الاوطأ من بعض مواقع العبيد السورية مثل موقع العبر وموقع مشنقة[٣٠] .

اسفرت نتائج التنقيبات في تل كردو ولاسيما تنقيبات موسم ١٩٩٩ ، عن معلومات غاية في الاهمية عكست صورة واضحة عن عمق المرحلة التطورية التي قطعها مستوطني المنطقة آنذاك ، وفيها اشارة الى انهم اي المستوطنين كانوا يعيشون في مجتمع مغلق يحتوي على مجموعه من الادوات والمعدات الجديدة في المنطقة متمثلة باكتشاف كسر من اواني فخارية مفخوره بشكل جيد ، فضلا عن اكتشاف جدران لبعض الابنية ذات الارضيات المزججة ، التي تعطي احتمالية انها تمثل افران مرتبطة بانتاج الفخار، وبعد ان تم دراسة الطرز الفنية لهذه الفخاريات وماتحمله من مضمون كدليل على الوحدة في الشكل والزخرفة من قبل الباحثين ، فان بعضهم يرى بان هذه المرحلة المنسوبة الى عصر العبيد كانت مرحلة تطور تكنلوجي وهي تشير الى ظهور انتاج فخار متخصص مرتبط بظهور اول الفخارين المحترفين في المنطقة ، وان اكتشاف هذه المنطقة المتخصصة في انتاج الفخار في العمق e من تل كردو يتطابق مع التطورات المتوقعة في ضوء التطورات التكنلوجية الموثقة بالفخار من مرحلة العبيد المعروفة في كل من تل عبادة وتل العبر وتل زيادة ، وربما من تل العبيد واريدو في جنوب العراق ، ان اكتشاف مثل هذه الادوات والابنية في طبقات مرحلة العمق e قد يشير الى ان التطورات في تل كردو يمكن ان تكون كتعبير محلي عن مجموعة التطورات الاقليمية التي كانت تحدث فيما يتعلق بالتخصص المتنامي في انتاج الفخار[٣١] .

وتشير التنقيبات الاثرية من تل زيدان وبالتحديد من المجس المحفور في الجزء الشمالي الغربي من التل الى اكتشاف اسس لبيوت كانت محفوظة بشكل جيد ، بينما اظهرت اعمال الحفر في المجس رقم ٢ سجل امتد الى ٥٠٠ عام من الحياة اليومية للناس الاعتياديين في تل زيدان خلال المرحلتين النحاسيتين ١ و ٢ ، للفترة من ٤٥٠٠ – ٤٠٠٠ ق.م ، تبين المرحلة النحاسية ١ المتأخرة في تل زيدان استمرار مع مرحلة العبيد السابقة لها ، ومن الروابط المدهشة بين المرحلتين هو ان الناس في المرحلة النحاسية ١ استمروا في ممارسة العبيد المبكرة في صناعة واستخدام الفخار، لقد اعطتنا كسر الاواني الفخاريه صورة رائعة عن مجتمع واسع اشتُقت ثروته من توفر الزراعة ومن الصناعات الحرفية[٣٢].

فضلا عن كسر الاواني الفخارية الخاصة بالعصر النحاسي من تل زيدان فان الادلة المثيرة عن مستوى التطور الذي بلغه مستوطني هذا التل خلال تلك المرحلة ومنها الانتاج الحرفي متمثلا بشكل المنفاخ المستخدم لاذابة النحاس ، وهذا بدوره يعطي انطباع عن مرحلة العصر النحاسي بانها المرحلة التي اخذ فيها مستوطنوا الشرق القديم الخطوات الاولى في استخدام تقنيات اذابة النحاس من خاماته وصبه في قوالب لصنع ادوات ومواد للزينة ، وان اكتشاف هذا المنفاخ في تل زيدان يعطي دليلا على ان الناس في هذه المدينة كانوا يقومون بالتجارة لمسافات تتراوح بين ٣٠٠ و

٤٠٠ كم للحصول على النحاس (ربما كانوا ياتون به من منطقة ارجاني مادن بالقرب من ديار بكر شرق تركيا) ومن ثم يقوموا بصناعة ادواتهم المعدنية بانفسهم باستخدام اكثر الطرق تطورا في الالفية الخامسة ق.م[٣٣].

وتوفر نتائج تنقيبات تل زيدان معلومات غاية في الاهمية مفادها وجود ادلة تعبر عن نشاط اداري يقوم به الناس ذوي المنزلة الاجتماعية العالية ، ربما تكون طبقة النخبة النامية التي حكمت تل زيدان والمناطق المحيطة بها في فترة العصر النحاسي ٢ حوالي ٤١٠٠ ق.م ، ومن اهم اللُقى الملفتة للنظر ختم حجري (ZD٥٨٥) يصور غزالا بحجم كبير وبشكل غير اعتيادي حيث بلغ ٥,٤×٥,٨ سم ومنحوت من صخر احمر لا يعود الى منطقة الرقة ، ان النحت على هذا الختم له ما يشابهه الى درجة كبيرة في مجموعة الاختام المنشورة التي وُجدت على بعد ٣٠٠ كم الى الشرق عند موقع تبة كورة قرب الموصل في شمال العراق ، ان وجود اختام واضحة بشكل دقيق لها تصاميم متماثلة الى حد كبير في موقعين منفصلين تماما يشير الى انه في هذه الفترة كان هناك نخب ذو منزلة اجتماعية عالية كانت تتبوأ مناصب قيادية في قصور مثل زيدان وتبة كورة وان هذه النخب كانت تشترك في مجموعة من الرموز المشتركة ، وربما حتى في الافكار المشتركة الخاصة بالمنزلة الاجتماعية العالية[٣٤].

ومن تل براك تاتي نتائج التنقيب في المجس العميق في منطقة CH في معبد العين خلال الاعوام ١٩٧٨ و ١٩٨٥ و ١٩٨٦ بمكتشفات غاية في الاهمية اذ عثر في الطبقات الدنيا من المجس وبالتحديد في الطبقات (٢٠-٢٢) في تنقيبات عام ١٩٨٥ على مكتشفات اثرية كان الفخار ولاسيما فخار العبيد يشكل الغالبية منها ، فيما عثر في الطبقات (١٥-٢٠) على فخاريات اغلبها كؤوس وجرار من ذوات الثقب والفخار المصقول الاحمر ، وكان الانتقال الى الطبقات التي تحمل فخار الوركاء المميز قد تم بصورة تدريجية ، وبالتالي ليس هناك فاصل محدد بين التصنيفات المميزة آثاريا ، ولكن لحد الان لم يكتشف سوى القليل من نماذج الانيات الملونة بالاحمر على الاسود التي تميز فخاريات موقع تبة كوره الطبقة ١٢ ، فضلا عن اكتشاف اعداد قليلة من الجرار ذات الثقب ، واعداد منوعة من الكاسات الحجرية الرقيقة بما في ذلك قطع من نماذج زجاج بركاني اسود ، وقد اظهرت الرواسب الفوقية قطعتين من انيات تبة كورة الاسود على الاحمر ان مثل هذه الانية بما في ذلك الآنيات ذات الغصن تكون شائعة في الرواسب المبكرة في منطقة معبد العين ، وبصورة عامة ، فان اقرب الانسجامات للفخار من هذا المجس وبالتحديد من الطبقة ١٣ كانت متشابه مع فخاريات تبة كوره من الطبقة ١١ وتضمنت اواني رقيقة متميزة وخاصة انواع الكاسات

الصغيرة المزخرفة بزخارف محززة او مطموغة ، فضلا عن وجود اقداح او دوارق رقيقة جؤجؤية[٣٥] .

تاتي من بعد فخاريات العبيد فخاريات الوركاء وكانت باعداد كبيرة وخالية من الالوان والزخارف وبالمقابل تناقصة انواع الفخار الملون الذي كان سائدا في المنطقة خلال المراحل السابقة ، وامتازت تلك الفخاريات بكونها من النوع الغير ملون وكانت باعداد كبيرة وهناك من اوعز سبب ذلك الى كثافة انتاج الفخار خلال هذا العصر اذ اصبح الاهتمال بالزيادة في كميات انتاجه وليست في قيمته الفنية وقد ساعد على ذلك اختراع الدولاب الخزاف خلال هذه المدة ، وقد وصلتنا من هذه المرحلة مجموعه من الفخاريات حملت خصائص هذه المرحلة الفنية اذ كانت الاواني ذات حافات مائلة ، عثر عليها في موقع هاتشبني الى الشمال من الحدود التركية[٣٦] .

امتازت فخاريات هذه المرحلة المكتشفة في مواقع هذه المنطقة باللون الترابي العادي وهي خالية من الطرز الفنية التي كانت شائعة خلال العصر السابق رغم التقنية العالية التي توفرت آنذاك والتي اختلفت هي الاخرى عن سابقات عهدها ، اذ اهتم الفخارون بنقاوة الطينة وابدعوا بانتاج الاشكال المتنوعه ومنها الاباريق او الجرار ذات المصبات الطويلة او القصيرة والجرار ذات العرى الرباعية الملصقة حول الكتف ، وهذه الفخاريات انتشرت في مساحة واسعه من المنطقة عثر على نماذج منها في تل حسن وتل براك وتل قناص وتل حبوبة[٣٧] .

ووصلتنا نماذج من فخاريات هذا العصر من تل براك القت الضوء على التعاقب الزمني خلال الالف الرابع قبل الميلاد ويعود زمنها الى حوالي ٤٢٠٠ق.م ، وكانت النماذج هي الفخار الفخار المرصع الملون وكان ظهورها الاول بشكل آنية خشنة وغير كاملة الاكسدة ومحززه في جزأها السفلي وذات قواعد مبسطة وقد عرفت بالآنية الناقوسية ، وكانت ذات حجوم كبيرة ويرى اغلب المختصون انها كانت تستخدم كحاويات نذور او انها كانت تنانير تستعمل لصناعة الخبز او لتوزيع حصص على فئات من المجتمع[٣٨] .

وعند نهاية الالف الرابع قبل الميلاد وبداية الالف الثالث قبل الميلاد انتشرت اساليب جديدة من الفخار في شمال سوريا وبالتحديد في المنطقة الشرقية اي منطقة الخابور عرفت بفخاريات نينوى وقد تميزت تلك الفخاريات بجرارها ذات العنق الطويل والقواعد المرتفعة فضلا عن الاواني العريضة ذات القواعد العالية ، اما طرزها الفنية فقد كانت ذات اشكال هندسية بهيئة خطوط متوازية ومائلة ومتقاطعة وبالتحديد في الجزء الاسفل من الآنية ، وهي اواني عادية وخالية من الالوان ومحززه بحزوز تناسبت مع شكل الآنية المنفذه عليها وهي صفة امتازت بها الفخاريات هذه المرحلة[٣٩].

الخاتمة والاستنتاجات

تناول هذا البحث مرحلة غاية في الاهمية الا وهي مرحلة عصور قبل التأريخ في اعالي الفرات ، وتكمن أهميتها في كونها تشكل البدايات الاولى للتكوين الحضاري في المنطقة بصورة خاصة ومنطقة الشرق القديم بصورة عامة ، وقد القى الموضوع الضوء على التغير الحاصل في اساليب الفخار في المنطقة وهذا التغير ماهو الا ناتج عن تغير في اساليب معيشة سكان المنطقة ، وقد لا يعني هذا الموضوع شيئا لدى الناس العاديين ، الا أنها بالمقابل يعني الكثير بالنسبة للمختصين بعلوم الآثار والتاريخ ولاسيما الآثار والتاريخ القديم ، ونحن من خلال هذه الدراسة سلطنا الضوء على اهم المتغيرات التي ظهرت على اساليب الفخار والتي دلت عليها مخلفات ذلك الانسان ، وسنعرض بإيجاز في هذه الاسطر أهم النتائج التي اسفرت عنها الدراسة .

دلت كسر الفخار والاواني الفخارية المكتشفة في المنطقة ان سكانها كانوا عبارة عن خليط يتكون من عدة اجناس بشرية بدليل وجود العديد من تلك الكسر متداخلة مع بعضها وهذا يعني وجود اكثر من حضارة كانت تتعايش سلميا آنذاك.

إن الانجازات التي تحققت خلال هذا المرحلة في هذه المنطقة لم يكن الانسان وحده ممن انتجها بل كان للطبيعة الجغرافية والموقع دور كبير ومهم في ذلك ، وتتضح معالم هذا الدور في استغلال ما هو موجود من اسس بيئية وفرتها طبيعة ، اذ لعبت الاسس الاقتصادية الطبيعية التي وفرتها البيئة الجغرافية آنذاك دورها في ذلك ، فكانت ممراً تجاريا ببلدان العالم القديم ولاسيما المناطق ذات الصلة بحوض البحر الابيض .

تسلسلت الاواني الفخارية في المنطقة حسب الدليل المستوحى من التنقيبات الاثرية كما يأتي:

الانية المصقولة النمطية

الاواني الملونة المبكرة

اواني حلف المبكرة احادية اللون سواء كانت المستوردة ام المحلية.

اواني العبيد الملونة

الاواني غير الملونة المطعمة بالقش او الحبيبات (العصر النحاسي المتأخر) الوركاء.

هوامش البحث:

١. Yamazaki, Y, An aspect of The ubaid intrusion in The Syrian upper Euphrates Valley **Beyond the Ubaid ,** Transformation and in Tegration in The late prehistoric societies of The middle east, Chicago Chicago,٢٠٠٦, P ٣١١.

٢. تل صغير يقع شمال الحسكة تحوي طبقاته البنائية على مخلفات اثرية تشبه مثيلات لها في تل الاربجية في شمال العراق ينظر: Davidson,T,and Watkins, T, Two Seasons of Excavation at Tell Aqab in the Jezirah, N.E. Syria, **Iraq**, Vol. ٤٣, No. ١ (Spring, ١٩٨١), pp. ١-١٨.

٣. احد من اهم التلول الاثرية على نهر التركمان احد روافد البليخ ، مساحته حوال ثلاثة هكتارات ، شهد اعمال مسح وتحري ميداني عديدة ينظر: ابو عساف، د. علي، آثار الممالك القديمة في سورية ٨٥٠٠ – ٣٥٠٠ق.م، دمشق ١٩٨٨، ص٥١.

٤. كفافي، د. زيدان عبد الكافي، بلاد الشام في العصور القديمة من عصور قبل .... ، ص ١٥٤ .

٥. واحد من اهم المواقع الاثرية المهمة في شمال سورية يقع على الضفة الشرقية من نهر البليخ الى الشمال من التقائه بنهر الفرات، ينظر: Stein,G,Tell Zeidan , ٢٠٠٨-٢٠٠٩,**The Oriental Institute**,P ١٢٦ .www.oi.uchica. edu / support / tell- Zeidan-syri

٦. صاحب ، د. زهير، فخاريات العراق القديم عصور قبل التاريخ ، بغداد ٢٠١٠ ، ص٢٨٥.

٧. الدباغ ، تقي ، والجادر ، وليد ، عصور قبل التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٣، ص١٣٨.

٨. جودي ، محسن حسين : تاريخ الفن العراقي القديم الرسم والنقوش الجدارية والفخارية والحجرية وعلاقتها بفنون الاطفال ، ط١ ، (النجف – ١٩٧٤) ص٦٤ .

٩. Matthers,J,"Tell Rifa'at ١٩٧٧:Preliminary Report of an Archaeological Survey", Iraq, Vol. ٤٠, No. ٢ (Autumn, ١٩٧٨.P١٢٢.

١٠. Özbal, R, A Comparative look at Halaf and Uaid Period Social Complexity and the Tell Kurdu, P ٤٠

١١.محيسن ، سلطان ، عصور ماقبل التاريخ ، دمشق ٢٠٠٤ ، ص٢١٦.

١٢.وهو من التلول الاثرية المهمه ويقع الى الشمال الغربي من مدينة حلب وعلى بعد ٣٥كم ويظن الكثير انه يمثل بقايا مدينة ارفاد وتشير نتائج التنقيب فيه الى انه شهد سكناً منذ عصور قبل التاريخ، ينظر:

Clayton , P , "The Coins from Tell Rifa'at",**Iraq**, Vol. ٢٩, No. ٢ ،١٤٣ p ,١٩٦٧

١٣. Matthers,J,"Tell Rifa'at ١٩٧٧:Preliminary Report of an Archaeological Survey", :P ١٢٤.

١٤. ١٤ Ibid .P ١٢٦.

١٥.محيسن ، سلطان ، عصور ماقبل التاريخ ، ص٢١٥.

١٦. Contenson,H,La culture halafinne de Ras Shamra,AAAS ٢٣.P.٨٧-٩٣.

١٧. Contenson,H, Poursuite des recherces dans La sondage a louestdu Tem Ple de Beel,١٩٥٥-١٩٦٠ rapport Prelimnaire , Ugaritica ٤ ,P ١٢-٢٤.

١٨. IbId ,P ٢٣.

١٩.لقد اعطت منطقة العمق الواقعه في شمال سوريا معلومات متكاملة عن التطور الحضاري لهذه المنطقة الذي استند الى تتبع الفخار على عدة مراحل هي : مرحلة العمق A، العمق B، العمقC ، العمق D، للمزيد من المعلومات حول هذه التقسيمات ينظر: تمتوم ، د.جمال ، الجذور ما قبل التاريخية الباكرة في المشرق العربي القديم ، دمشق ٢٠١١، ص ص١٨٠-١٨٢

٢٠.محيسن ، سلطان ، عصور ماقبل التاريخ ، ص ٢١٥ – ٢١٨.

٢١. Özbal, R, R, A,, The emergence of ubaid styles at Tell kurdu: a local perspective, **Beyond the Ubaid**, Transformation and in Tegration in The late prehistoric societies of The middle east, Chicago Chicago, ٢٠٠٦ . P ٢٩٤

٢٢. Özbal, R, R, A, Comparative look at Halaf and Uaid Period Social Complexity and the Tell Kurdu Case Halaf Ve obeyd Donemlerinin Toplumsal Örgutlenme Geliskenligi Acisindan Karsilastiailmasi Ve Tell Kurdu Örnegi, ٢٠١٠.P ٤٠.

٢٣. Özbal, R, R, A,, The emergence of ubaid styles at Tell kurdu..... P ٢٩٤.

٢٤. Davidson,T,and Watkins, T, Two Seasons of Excavation at Tell Aqab in the Jezirah, N.E. Syria, **Iraq**, Vol. ٤٣, No. ١ (Spring, ١٩٨١), pp. ١-١٨

٢٥. Davidson, T, "Pottery Manufacture and Trade at the Prehistoric Site of Tell Aqab,Syria ", **JA**,Vol ٨, No ١ , ١٩٨١, PP ٧٤-٧٥.

٢٦. Davidson,T,and Watkins, T, Two Seasons of Excavation at Tell Aqab in the Jezirah.....P١٠.

٢٧. Stein,G, Tell Zeidan , ٢٠٠٨, P ١٣٤.

٢٨. Özbal, R, R, A,, The emergence of ubaid styles at Tell kurdu..... P ٢٩٤.

٢٩. Ibid , P ٢٩٥.

٣٠. Ibid , P ٢٩٧.

٣١. Ibid , P ٢٩٩.

٣٢. Stein,G, Tell Zeidan , ٢٠٠٨, P ١٣٤.

٣٣. Stein,G, Tell Zeidan , ٢٠١٠, P ١٣٠.

٣٤. Stein,G, Tell Zeidan , ٢٠٠٨, P ١٣٤.

٣٥. Oates, D, Excavations at Tell Brak, ١٩٧٨-٨١, **Iraq** , Vol. ٤٤, No. ٢, ١٩٨٢, p ١٨٧.

٣٦. Akkermans , P MMG&Schwartz G: ٢٠٠٣ .P .١٨٤١٨٥.

٣٧.ايفا ، شترومنغر ، نتائج تنقيبات في حبوبة الكبيرة لعام ١٩٧٥ م ، الحوليات الاثرية العربية السورية ، العدد٢٥ ،١٩٧٥ ، ص٢٤٨.

٣٨. Nissen ,H, The Early History of the Ancient Near East ٩٠٠٠-٢٠٠٠ B.C Chicago and London :University of Chicago Press ...١٩٨٨ .p ٧٨.

٣٩.محيسن، سلطان ، آثار الوطن العربي القديم ، الآثار الشرقية ، جامعة دمشق ، ١٩٨٩ ، ص١٣٨.

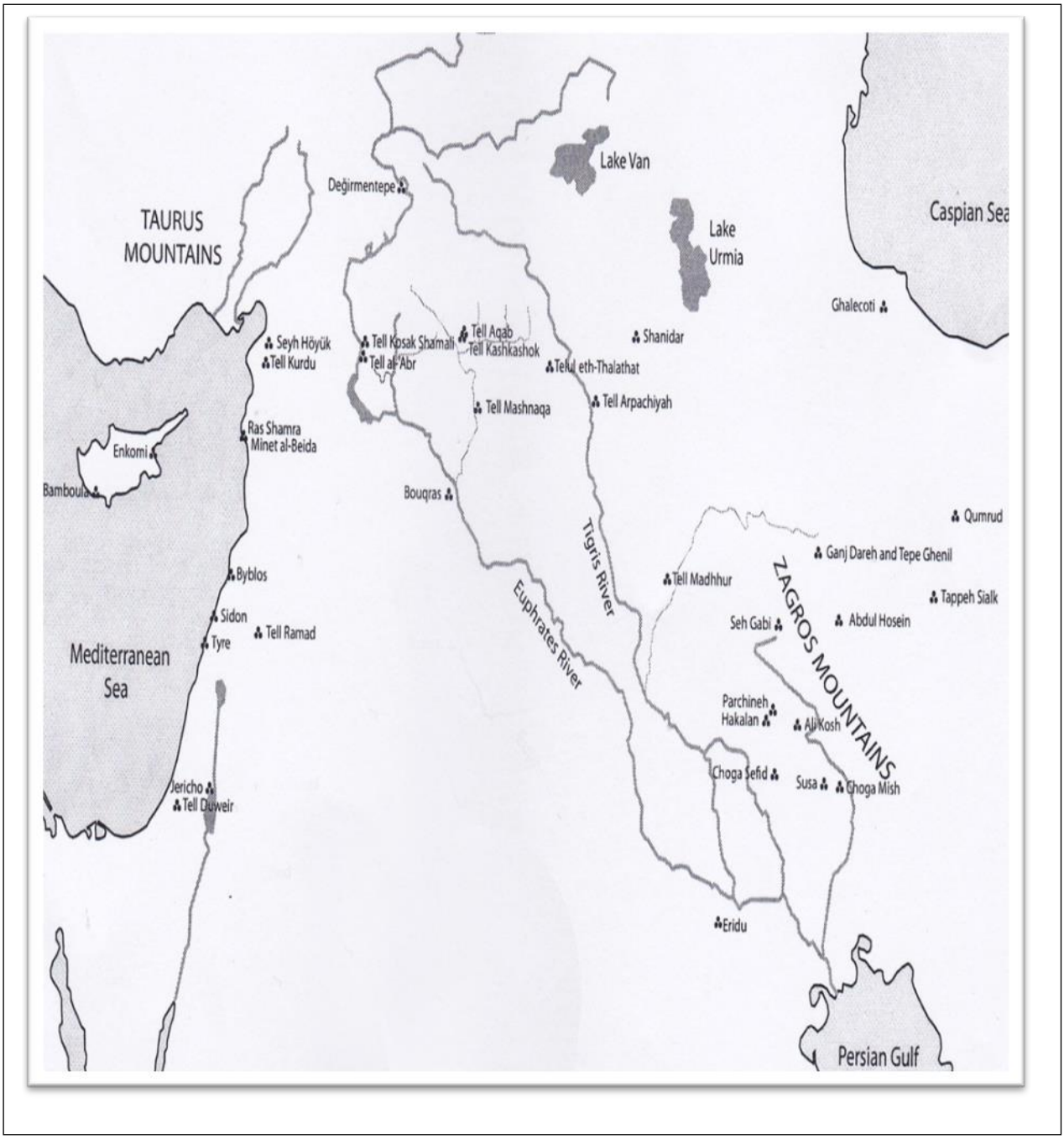

خريطة –١– تبين مواقع في اعالي الفرات.

Fletcher,A, "The Prehistoric Ceramic Assemblage from Horum Höyük" , p ١٩٢.

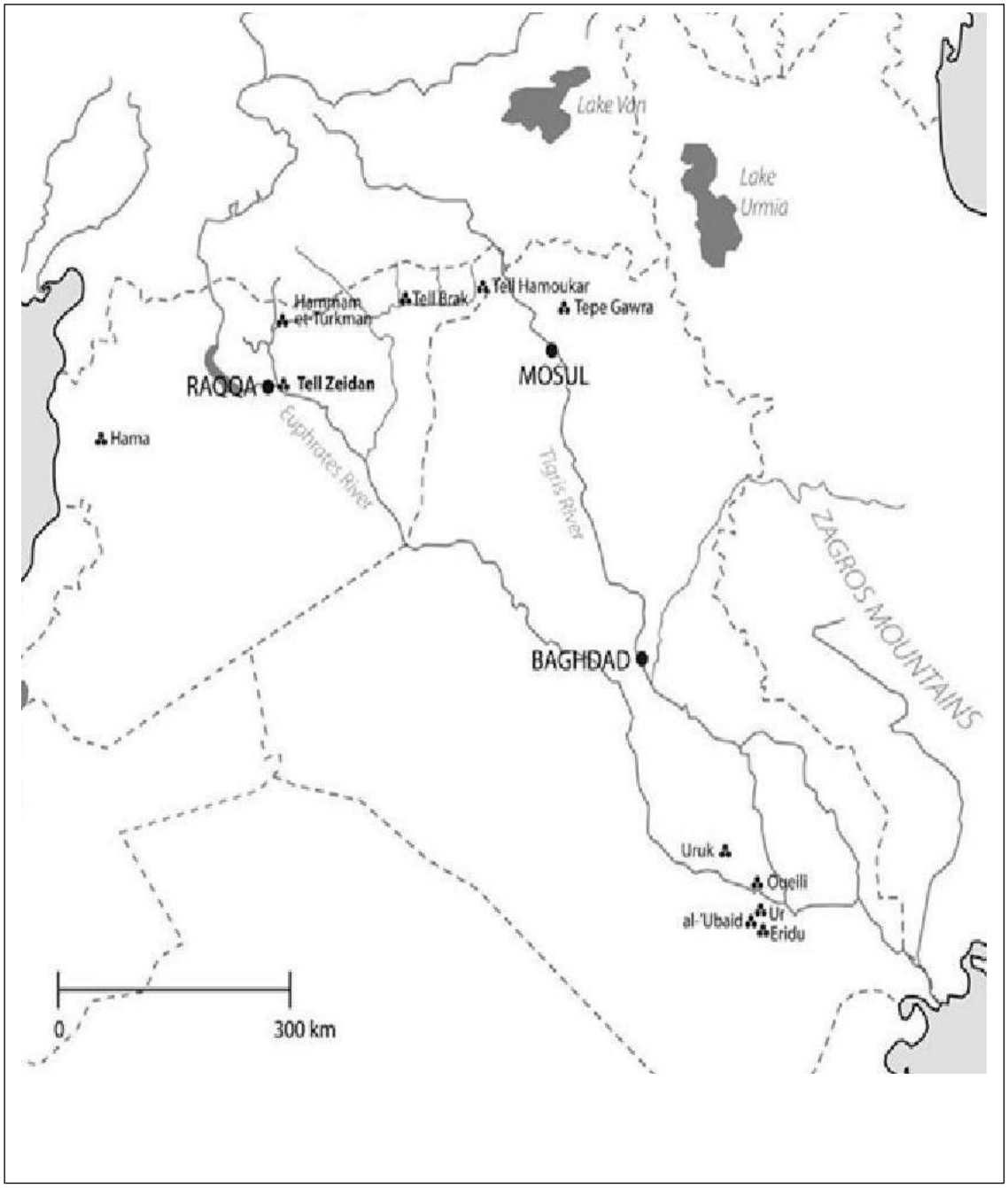

خريطة -٢- تبين المواقع الاثرية في شمال سورية.
Yamazaki, Y, An aspect of The ubaid intrusion in The Syrian upper Euphrates Valley, P ٣١١.

أ

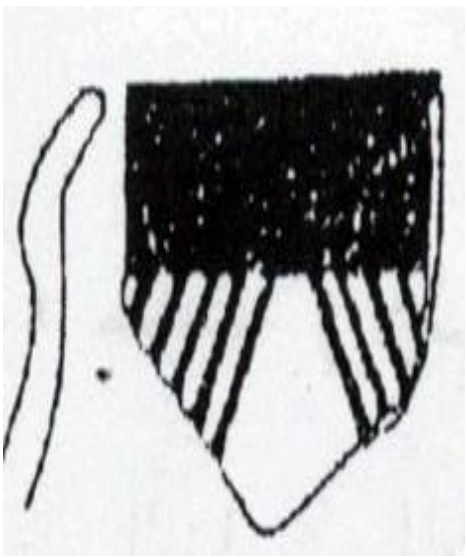

ب

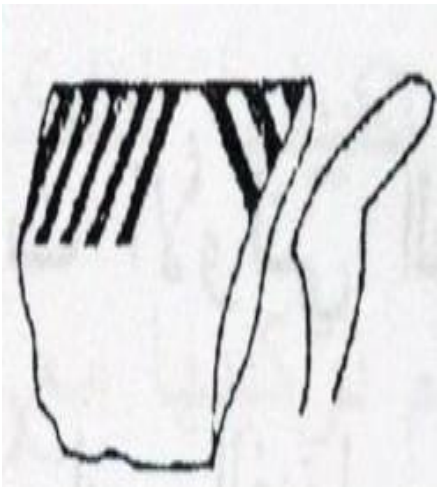

حـ

د

لوح رقم ١

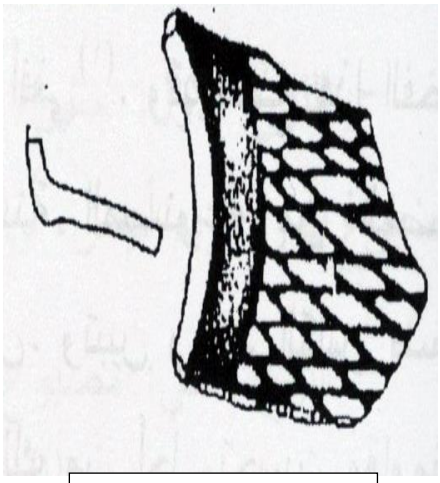

ا

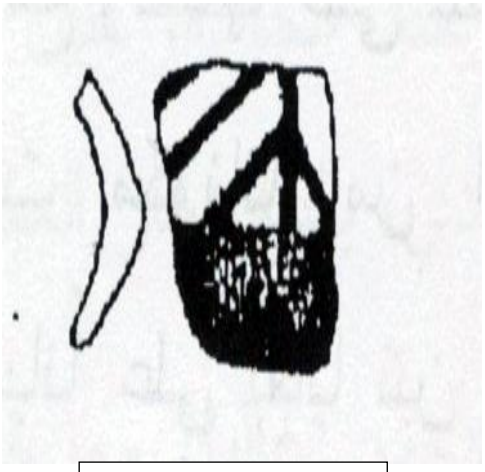

ب

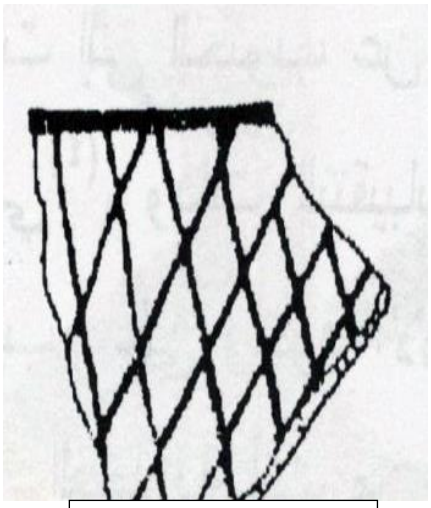

حـ

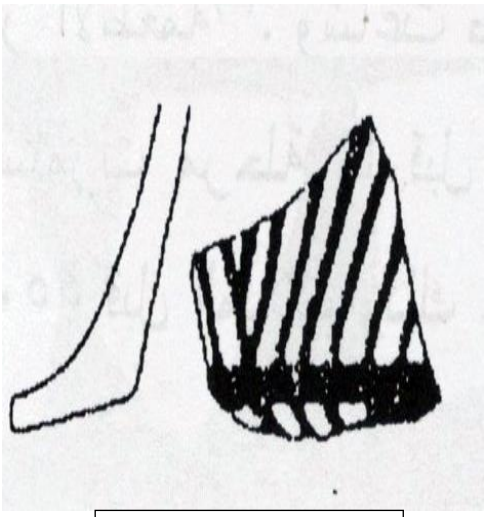

د

لوح رقم ٢